كلية دار العلوم
قسم الدراسات الأدبية

تقنية السرد الروائي في أدب سعد مكاوي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الباحثة /
سماح سعيد إمام الوكيل

إشـــراف
الأستاذ الدكتور / محمد فتوح أحمد
أستاذ الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم
وعضو مجمع اللغة العربية

١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾

[البقرة ٢٠١]

شكر وعرفان

الحمد لله على عظيم فضله، وصلاة وسلامًا على رسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد،

فأتقدم بخالص الشكر والعرفان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ **محمد فتوح أحمد** أستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، وعضو مجمع اللغة العربية، على ما أسداه سيادته لي من توجيهات خلال رحلة البحث، فقرأ وناقش وصحح ونصح، ولم يمل سؤالي، فله مني كلّ التقدير والاحترام.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذين العلمين؛ الأستاذ الدكتور/ **أيمن ميدان** أستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور/ **عادل ضرغام** أستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم جامعة الفيوم، على قبولهما مناقشة هذا البحث وتقويمه، فاللهَ أسأل أن يجزيهما خير الجزاء.

الباحثة

المقدمـــة

تشغل الرواية العربية مكانـة بارزة بين فنون الأدب، فقد استطاعت أن تثبت جذورها بين الفنون المختلفة منذ مطلع القرن العشرين، وأخذت تتطور على مدى ما يقرب من ثلاثة قرون تطورًا كبيرًا، وفقًا للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فهي عمل فني نثري قابل للتغيير والتبديل.

وقد حملت الرواية على عاتقها كثيرًا من المهام الصعبة مثل تحليل المجتمع ونقده، وتصوير أزمة الإنسان المعاصر، كما نجحت في تصوير التجارب الإنسانية، وعرض شرائح المجتمع المختلفة، فهي تسير في اتجاهات متعددة في تفصيلات الواقع، وفي رؤية الحياة والوجود والعالم.

استطاعت الرواية أن تعكس موقف الكاتب وآراءه وأيديولوجيته إزاء واقعه، بنفس القدر الذي تفصح فيه عن مدى فهمه لجماليات الشكل الروائي، والرواية تعبر عن هذا من خلال تقنيات الرواية، والأدوات الفنية المميزة التي يستخدمها الأديب من: زمان، ومكان، وشخصية، وحدث، وتقنيات أخرى مميزة للعمل الروائي عن غيره .

وتعد رواية (زينب) للدكتور محمد حسين هيكل، التي نشرها سنة ١٩١٢ الميلاد الحقيقي للرواية المصرية في رأي كثير من النقاد؛ حيث استطاعت التعبير عن تجربة إنسانية مصرية، وابتعدت عن أسلوب المقامة والصنعة اللفظية التي كانت شائعة في ذلك الوقت. ثم أخذت الرواية في التطور، وذلك بعد قيام ثورة ١٩١٩؛ حيث أخذت الشخصية المصرية في الوضوح، ورسوخ الوعي الوطني لدى الناس، وتطلعهم إلى الاستقلال، والتحرر من الاستعمار، مع استمرار البعثات إلى الخارج، وانتشار حركة الترجمة من الآداب الأجنبية إلى العربية؛ كل ذلك أدى إلى ثورة أدبية خاصة في مجال الرواية، وبدأ ظهور عدد من الأعمال الروائية للدكتور طه حسين، وعباس العقاد، وإبراهيم المازني، وتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، وطاهر لاشين. وتعد هذه مرحلة مهمة من مراحل تطور الرواية؛ حيث أخذت الرواية تحقق العناصر الروائية الصحيحة، وأخذت الرواية تتنوع في الاتجاهات سواء رواية رومانسية، أو واقعية، أو تحليلية، أو ذهنية، أو اجتماعية، أو تاريخية، كما في روايات (محمد فريد أبو حديد)، و(علي أحمد باكثير).

وعلى الرغم من تأثر الأدب وخاصة الرواية بالآداب الأجنبية، فإن الأعمال الأدبية استطاعت أن تعبر بصدق عن الشخصية المصرية بكل أبعادها السياسية، والاقتصادية، والفكرية، فقد أفرزت حركة الأدب في مصر أجيالاً أدبية لها صفة الريادة في التعبير عن روح العصر، وأصبحت علامة مميزة في عالم الأدب، ومن هؤلاء الأدباء (سعد مكاوي) الذي ضمت رحلته الأدبية أسلوب جيل بأكمله، فقد أسهمت أعماله في حركة التجديد في الحياة الثقافية، وقد انصبت مقومات التجديد لديه على المضمون القصصي والروائي؛ فقد كانت الروايات تعبر عن الآثار والتغيرات الاجتماعية والسياسية، والمشكلات الفكرية المرتبطة بواقع المجتمع بصفة عامة، وروايات استمدت أصولها من التاريخ القومي.

وقد كان الأديب (سعد مكاوي) من أبرز كتاب هذا الجيل؛ حيث استطاع أن يثري الحياة الأدبية بمجموعة من الأشكال الأدبية الحديثة، وأن يعبر عن كثير من القضايا الفكرية المعاصرة، وسوف يحاول البحث الكشف عن أدب (سعد مكاوي) من خلال أعماله، وتطوره من خلال تقنيات السرد الروائي، وكيف استطاع أن يجمع بين الفنون الأدبية في وقت واحد، وهو كاتب متميز في مجال القصة القصيرة والرواية والترجمة، وغيرها من فنون القول المختلفة الذي شكلت عالمه الإبداعي.

سيرة حياته:

ولد الأديب الصحفي (سعد مكاوي حسن) في ٦ أغسطس سنة ١٩١٦ في قرية الدلاتون، مركز شبين الكوم التابع لمحافظة المنوفية، تلقى تعليمه في مدرسة التوفيقية الابتدائية ومدرسة شبرا، وفؤاد الأول الثانوية، ثم سافر إلى فرنسا عام ١٩٣٦ لدراسة الطب في مونبيليه، لكنه سريعًا ما تركها ليتوجه إلى دراسة الآداب بالسربون، ثم عاد في عام ١٩٤٠ دون أن يحصل على الليسانس في الآداب؛ بسبب نذر الحرب.

اشتغل (سعد مكاوي) بالصحافة بعد عودته من فرنسا، فتولى الإشراف على صفحة الأدب في جريدة المصري عام ١٩٤٧، وقد مكنه هذا العمل من نشر أهم قصصه، وهي القصص التي ضمنها مجموعتين: (الماء العكر)، (الزمن الوغد).

وفي الوقت نفسه فتح باب النشر أمام كثير من نقاد اليسار أمثال: محمد مندور، وعبد الرحمن الشرقاوي...، ثم أغلقت جريدة المصري مع إلغاء الأحزاب عام ١٩٥٤، ويمر عامان لينتقل بعدهما للإشراف على الصفحة الأدبية في جريدة الشعب عام ١٩٥٦، وظل بها حتى عام ١٩٥٩، ومن الشعب انتقل للعمل كاتبًا بجريدة الجمهورية لسان حال الثورة آنذاك، ثم انتقل الكاتب بعد ذلك للعمل في وزارة الثقافة حتى إحالته على المعاش، فعمل فيها مشرفًا على لجنة النصوص السينمائية، لينتقل بعدها –وفي عامه الأخير قبل سن المعاش– رئيسًا لهيئة المسرح حتى ١٦ أغسطس ١٩٧٦، وهو تاريخ بلوغه سن الستين، أما آخر أعماله الوظيفية فكان مقررًا للجنة القصة بالمجلس الأعلى للفنون والآداب، وقد لازمه هذا العمل حتى وفاته في ١١ أكتوبر ١٩٨٥م [١].

وقد تأثر (سعد مكاوي) بشخصية والده، فقد كان مدرسًا للغة العربية، فقرأ كل ما تحويه مكتبة والده من كتب التراث، والعقيدة، والشريعة، والتاريخ، والأدب، ومجلدات المجلات الشهرية مثل (الهلال) و(المقتطف)، كما شاهد مجتمع الفلاحين والبسطاء من خلال أبيه واجتماعه بالفلاحين، ويتحدث (سعد مكاوي) عن نشأته وتأثره بوالده، فيقول: "من خلال الطراز النادر للفلاح المصري البسيط المتصوف بدأت، ونمت نظرتي إلى الواقع، كان أبي من خريجي دار العلوم، ومدرسًا للغة العربية في القاهرة، ولكن حقيقته الكبرى كانت في سعة اطلاعه، ورحابة فكره في إطار من التصوف، كانت له جاذبيته على نفسي المتفتحة للمعرفة، وبعد صلاة العصر وأمام بيتنا الريفي المنعزل وسط حديقة فواكه صغيرة خارج كتلة مباني القرية، كانت تتحلّق حوله مجموعة من الأصدقاء والأقارب من المتعلمين والفلاحين، وتدور مناقشات وتثار أسئلة، وفي هذه الجلسات التي كنت أحوم حول حافتها ثم أندمج فيها، كانت تتوضح أحشاء الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على مستوى الوطن كله وعلى مستوى الريف نفسه، كما كانت مباحث العقيدة والتصوف فتح أمامي آفاقًا واسعة للتفكير والتأمل"[٢].

---

[١]– انظر محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم للطباعة ، ط٢، ٢٠٠٢م، ص ٢٠٢.

[٢]– نبيل فرج ، سعد مكاوي يتحدث عن تجربته القصصية "حديث" مجلة الثقافة، القاهرة، يوليو، ١٩٧٤، ص٥٠.

كانت لنشأة (سعد مكاوي) الريفية، وكذلك كان لثقافته المختلفة في الأدب العالمي خاصة الفرنسي منه –أثرها العميق في تشكيل رؤيته الفنية، وهي كالتالي:

أولًا: البيئة الريفية، حيث شاهد في الصغر صراعات الفلاحين، والحياة الصعبة التي يحياها الفلاح المصري في قرية (الدلاتون)، وهي الصراعات التي عبر عنها من خلال أعماله القصصية والروائية.

ثانيًا: ساعدته دراسته في فرنسا، وكذلك دراسته في كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية – على أن يتعرف على أعمال كثير من المبدعين أمثال: (جي دي موباسان)، وهو من رواد القصة القصيرة في العصر الحديث، وقرأ أيضًا أعمال (إميل زولا)، و(بلزاك)، و(مارسيل بروست)، خاصة كتابه (البحث عن الزمن المفقود). وعلى الرغم من تأثره بالأدب الفرنسي الذي كان واضحًا في بداية كتاباته، فإنه احتفظ بالشخصية المصرية محددة الملامح؛ حيث اهتم بالقضايا الاجتماعية في الريف المصري والمدينة، ومعظم شخصياته من الفلاحين والعمال البسطاء والمهمشين، وهي سمة من سمات جيله من المبدعين المشتركين معه في السمات والرؤى مثل: نجيب محفوظ، ويوسف السباعي، ويوسف إدريس، وفتحي غانم، وعبد الرحمن الشرقاوي، ومحمد عبد الحليم عبد الله، وعبد الحميد جودة السحار، وعلي أحمد باكثير، وجاذبية صدقي، وغيرهم من المبدعين الذين عبروا عن قضايا المجتمع.

وكان لعمل (سعد مكاوي) في جريدة المصري، وانضمامه لحزب الوفد –أثره العميق في تشكيل رؤيته الفنية، كما تجلى ذلك في موقفه من حركة الضباط الأحرار، وهي الحركة التي عاصر مخاضها الأليم في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، وكتب مبشرًا بها على صفحات المصري، ثم جاء صراع العسكر على السلطة، وهو المأزق الذي يئس الرجل –على مستوي الواقع– أن تجد مصر سبيلًا للخروج منه، ولكنه لم ييأس على مستوى الفن، وظل يبحث عن سبيل للخروج[١].

ويعد (سعد مكاوي) كاتبًا متعدد المواهب الإبداعية،فهو قَاصٌّ بالدرجة الأولى، وروائي له خصوصيته في الرواية العربية، وكاتب مسرحي له دوره المهم في عالم المسرح، ومترجم له أعمال جادة في محيط الترجمة، وعلى الرغم من ذلك لم ينل (سعد مكاوي) –شأنه شأن

---

[١]– انظر السائرون نيامًا، سعد مكاوي، تقديم خيري دومة في حوار خاص بين خيري دومة والشاعر محمود توفيق الذي كان صديقا مقربا إلى سعد مكاوي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥ ، ص ١.

بعض من جيله– حقَّه من النقد والاهتمام؛ وربما يرجع ذلك إلى الانطواء وعدم الظهور في الحفلات والمناسبات الاجتماعية، وربما يرجع انطواؤه إلى تأثره بالرومانسيين، ولدراسته في مجال علم النفس، وقد زاد انطواؤه خاصة بعد هزيمة يونيو،مثله مثل غيره من الكتّاب، وقد ظهر ذلك بوضوح في حياة الكاتب وكتاباته، وخاصة في روايته (السائرون نيامًا)، التي لمَّح فيها إلى فساد السلطة وسوء الأحوال السياسية.

والباحث في أعمال (سعد مكاوي) واجه صعوبات كثيرة؛ نظرًا لغزارة إنتاجه الذي استمر ما يقرب من نصف قرن، فقد لاحظ الباحث أن أعماله المنشورة تمتد خلال الفترة من (١٩٣٦–١٩٨٥)، وكان من الضروري قراءة أعماله كاملة بصرف النظر عن الرواية موضوع البحث؛ وذلك لمعرفة منهج الكاتب وتطوره، وكذلك معرفة ظروف العصر الذي عاش فيه الكاتب؛ فالفن انعكاس إيجابي لحركة الواقع، إذ عندما تتغير أنماط الإنتاج وعلاقات البشر وحركة الناس في المجتمع، يبدأ الأديب في تعديل رؤيته الفنية، ومن هنا تبدأ الرواية في اتخاذ شكل جديد، ويبدأ الأديب في معالجة الموضوعات بشكل مختلف، أي أن التغير في التكنيك لا يحدث اعتباطًا بل نتيجة تفاعل عدة عوامل: اجتماعية، وفكرية، وأدبية.

فقد مر (سعد مكاوي) بأحداث عظيمة أثرت في وجدان الأمة، وكذلك في وجدان (سعد مكاوي)؛ حيث الحرب العالمية الثانية، ونكبة١٩٤٨، وثورة ٢٣ سنة ١٩٥٢، وقد عملت الثورة على تنمية الوعي الوطني والقومي، والوعي السياسي والاجتماعي، وفتحت الباب للإبداع الفني من خلال الصحف والمجلات التي أنشأتها، وفتحت الباب أمام روايات عبد الرحمن الشرقاوي، ونجيب محفوظ، ويوسف إدريس، وسعد مكاوي، وغيرهم من المبدعين، لكن مسار الثورة اختل في النهاية ولم يكن صحيحًا في كل الأحوال؛ "فقد انحرف هذا المسار في بعض الأحيان، كما اشتطت بعض العناصر في ممارسة النهج الثوري، على حين تَرَبَّتْ عناصر أخرى بِزِيِّه وركبت موجته العالية، ومارست تحت شعاره ألوانًا من التسلط والفساد، وتراكمت الأخطاء في غيبة من ضمير الثورة"[١]، ثم وقعت كارثة يونيه سنة ١٩٦٧، وقد أسهم الفن الروائي في التعبير عن تلك الفترة، والتعبير عن همومها وقضاياها بشكل أو بآخر، ثم حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ وما يليها من تغيرات أفرزت عددًا

---

[١]– د. شفيع السيد : اتجاهات الرواية العربية، دار الفكر العربي، ط٢ ١٩٩٣، ص ٢٢.

رهيبًا من المتناقضات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، وأظهرت على سطح الواقع الاجتماعي المصري فئات وطبقات مختلفة.

ومن المهم أن نلاحظ هنا أن الأحداث التي كانت تؤثر في وجدان الروائي في الفترة الأولى من حياته، كانت تؤثر بالضرورة في تكوينه ووجدانه؛ مما يشير إلى أن هذه النشأة (مع مؤثرات أخرى) كانت تحدد انتماءاته.

ومن الملاحظ عند (سعد مكاوي) أنه كتب عن المجتمع بشرائحه المتعددة سواء في القصة القصيرة أو الرواية، كما في مجموعة الماء العكر ١٩٥٦، ومجمع الشياطين ١٩٥٩، والقمر المشوي ١٩٦٨، على حافة النهر الميت ١٩٨٥، والسائرون نيامًا ١٩٦٥، ولا تسقني وحدي ١٩٨٥، وهذا على سبيل المثال وليس الحصر. والمطلع على هذه الأعمال يجد أن سعد مكاوي أخذ من الهموم الحياتية والمكانية أصول أعماله. وقد اتجه (سعد مكاوي) في بداية حياته إلى كتابة القصة القصيرة، ثم تحول إلى كتابة الرواية. وكانت القرية هي المسرح الأكبر لعدد من إبداعاته بمختلف أنواعها، كما كتب بأسلوب المذكرات بما فيها من الشاعرية والذاتية، فقد قدمت له السينما المصرية روايته "شهيرة" حيث أخرجها للسينما الأستاذ (عدلي خليل) فيلمًا يحمل العنوان نفسه، كما كتب في إبداعاته عن أشخاص حقيقيين. وبعيدًا عن غزارة الإنتاج القصصي عند مكاوي، نجد تنوعًا كبيرًا في الإنتاج الأدبي بعامة، يشمل:(قصة قصيرة – رواية – مسرحية – دراسات – ترجمات)، فضلًا عن (المقال القصصي)، فقد حاول الكاتب الاستفادة من آليات الفنون الأدبية المختلفة في النوع الواحد؛ ونتيجة لهذا التنوع في الإنتاج الأدبي فإن الباحث الذي يسعى وراء فكرة معينة في أعمال (سعد مكاوي) – يحتاج إلى تتبع أعماله في (المسرح – المقال – الرواية – القصة)، فيوسف الشاروني في كتاباته عن الخيال العلمي في أدب (سعد مكاوي) يجد نفسه مضطرًا إلى رصد ملمح الخيال العلمي في قصصه ومسرحه في وقت واحد؛ حيث يلاحظ أن الفكرة التي تلح على الكاتب في مسرحية (الميت الحي) هي نفسها تقريبًا الفكرة التي تظهر في قصة (الوحش خارج القفص)، التي تتلخص في أن التطرف العلمي قد يحول الإنسان إلى وحش كاسر.

وقد أوقعت أعمال (سعد مكاوي) الباحثين في حيرة شديدة، فقد عدَّ البعض رواية (شهيرة) قصة مطولة، مثل الباحث خيري دومة في مقدمة (الببليوجرافيا) التي أعدها عن قصص (سعد مكاوي)، في حين اعتبرها كثير من النقاد رواية، وهي بذلك تعد أولى

روايات (سعد مكاوي)، مثل الناقد شوقي بدر يوسف في كتابه (الرواية في أدب سعد مكاوي).

وقد عدَّ البعض مجموعته (رجل من طين) قصصًا قصيرة، في حين أنها مقالات نشرها الكاتب يوم كان نجمًا لامعًا في سماء الصحافة المصرية ... وكذلك (لو كان العالم ملكًا لنا)، فهما مجموعتان من الدراسات التي نشرها الكاتب الكبير في صحيفة (المصري) أواخر الأربعينيات، ولكنها دراسات يكتبها فنان، ويمزج فيها بلغة الفن الجادة بين بصيرة الفنان المبدع وبصر الناقد المفكر. هذه قراءة فنان كبير لحياة الموسيقيين الكبار وموسيقاهم، وحينما يقرأ (سعد مكاوي) الموسيقى ويكتبها فإنه يكتب عن فن يعشقه... عن الموسيقى التي تعد عنده سيدة الزمان والمكان، وأول الكلام ومنتهاه على حد تعبير (سعد مكاوي) في مقدمة أعماله الكاملة (رجل من طين).

والباحث في أعمال (سعد مكاوي) يجد عدة إشكاليات، منها: أن بعض القصص يتكرر نشرها في مجموعات وإصدارات مختلفة جديدة بتواريخ جديدة، وبالتالي يتبعها تعديل وتغيير؛ وهذا يدل على حرص الكاتب على التطور الفني، وكيف أن فكرة معينة تظل مسيطرة على عقل الكاتب سنوات طويلة، ثم يعيد كتابتها في ثوب جديد، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فقد كتب قصة (حماتي لجنة دفاع مشترك) عام ١٩٤٦، ثم أصدرها مرة أخرى بعنوان (السكن بعد غربة) ١٩٥٥، وكذلك (بهو الأقنعة) سنة ١٩٤٦ أصدرها بعنوان (الرقص في المعبد) في مجموعة (نساء من خزف)، ثم بعنوان آخر (الأقنعة) في مجموعة (الرقص على العشب الأخضر) ١٩٧٣، وكذلك (حياة موفورة) ١٩٤٧ أصدرها بعنوان (الماء العكر) في مجموعة الماء العكر ١٩٥٦، وهذا على سبيل المثال وليس الحصر.

استطاع (سعد مكاوي) أن يعايش شخصياته الورقية فتظل حية بداخله كل هذا الزمن؛ مما يجعلنا نستنتج أن للكاتب فلسفة معينة في الحياة ومنهجًا واضحًا، وأن لديه صدقًا وإيمانًا عميقين فيما كتب.

والقارئ في أعمال (سعد مكاوي) يلمح طفرة التغير والتطور في أعماله، فبداية أعماله كانت أشبه بالمقالات التي تفتقر إلى الأسلوب الفني، فلم تكن أدواته الفنية قد اكتملت، وخاصة في مرحلة الأربعينيات، وقد برز نبوغه الفني في الخمسينيات .

وتعد رواية (شهيرة) ١٩٥٩ أولى الأعمال الروائية للأديب (سعد مكاوي) خلال رحلته الإبداعية، وقد صدرت هذه الرواية ضمن مجموعة من القصص القصيرة تحمل العنوان

نفسه، وقد سار الأديب (سعد مكاوي) على درب كثير من الكتَّاب من حيث البداية الرومانسية .

وقد جرت أحداث الرواية في الوسط الفني؛ فبطلتها إحدى الممثلات المرموقات في هذا الوسط وقد أطلق عليها اسم (شهيرة زهدي)، وبطلها شاب في بداية حياته الأدبية وأطلق عليه اسم (أحمد كمال)، وعلى الرغم من أن إطار الرواية رومانسي؛ حيث أحمد كمال الأديب الحالم بعالم المثالية؛ فإن الرواية يشوبها بعض الواقعية المتمثلة في شخصية (شهيرة زهدي)، وما يدور في الوسط الفني من صراعات. ثم كتب بعد ذلك رواية (الرجل والطريق سنة ١٩٦٣)، وهي تختلف في شكلها ومضمونها عن روايته الأولى (شهيرة)، فهي أولى خطواته إلى الواقعية، وعلى الرغم من أنها تحمل كثيرًا من الرومانسية، فإنها تتحدث عن فنان تشكيلي يبحث عن الجمال النفسي والجمال الروحي وسط إحباطات المجتمع .

حاول (سعد مكاوي) أن يتجه إلى الواقعية ليبرز ملامح التطور في تلك الفترة، فقد حاول إحلالها محل الرومانسية التي كانت تعالج الفرد وحده مثله مثل جيله، فأصبح في مرحلة وسط بين الرومانسية والواقعية، فكان ضمن كوكبة من المبدعين لم يركبوا موجة التجريب بل أخذ من القديم والحديث على السواء، ولكن بمقدار ما يخدم العمل الفني.

وقد لجأ الأديب إلى كتابة الرواية التاريخية عندما اشتد البطش والإرهاب السياسي، فلجأ إلى القناع التاريخي ليعبر بطريقة غير مباشرة عما يخشى أن يقوله صراحة؛ لذلك فإن الإطار التاريخي يعد من هذه الناحية وسيلة هروبية يعبر من خلالها عما يريد أن يقوله عن طريق الرمز والتلميح.

وقد دخل (سعد مكاوي) هذا الاتجاه من خلال (السائرون نيامًا)؛ فقد حاول استخدام الإسقاطالتاريخي على الواقع فكان تعبيرًا صادقًا عن الشخصية القومية تاريخيًّا وحضاريًّا؛ حيث استطاع أن يعبر عن الواقع بكل ما فيه؛ فقد صور مرحلة تاريخية من أشد المراحل اضطرابًا في تاريخ مصر وهي (فترة حكم المماليك)؛ وقد تمكن من الكشف عن حياة الناس في كل مكان في الحواري وفي الأزقة وداخل الدور الصغيرة، والصراع من أجل لقمة العيش إن وجد، بل تصوير صراع المماليك أنفسهم داخل القصور وخارجها، حتى إنه وصل إلى مخدع السلطان نفسه ليكشف عن الجانب الخفي من شخصية السلطان، إنه

كاتب واع للرواية الفنية؛ إذ اتخذ من التاريخ موضوعًا له، فاستطاع أن يجمع بين التاريخ والفن في مرحلة زمنية ليست معاصرة .

و(السائرون نيامًا) تعد مرحلة انتقالية عند (سعد مكاوي)؛ بعد روايتين تبدو فيهما السمات الرومانسية والواقعية؛ إذ تم اختيارها ضمن أفضل الروايات العربية لعامي(٢٠٠٧/٢٠٠٩)، وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يحمل عنوان (الطاووس)، والثاني (الطاعون)، والثالث (الطاحون)، وكل قسم له دلالته، وله رمز معين يشير إلى أحداث الرواية؛ حيث إن اسم الرواية نفسه (السائرون نيامًا) بما يحمله من معانٍ مثل: انعدام الإرادة، والخروج من مرحلة الوعي إلى اللاوعي، فهو رمز في حد ذاته. والأقسام الثلاثة تتصل بالحدث العام للرواية من أوله إلى آخره .

وقد انتخب الكاتب شخصيات نمطية من عامة الشعب مثل: الشيخة زليخة، وصانع النعوش أيوب، وصبيه يوسف، وشخصيات أخرى من المماليك: بلباي المؤيدي، وخير بك الدويدار، ومملوكه أحمده، وتمر بغا الظاهري، وقايتباي، وغيرهم، والغريب في القصة الإكثار من الشخصيات ذات العاهات مثل :الأعور، والأعمى، والأعرج، وكأن (سعد مكاوي) يرمز من خلالهم إلى كل ما هو معيب في الدولة.

وقد تمَّ اختيار البحث وفقًا لعدة أمور أهمها:

١- قد لاحظت أن الأعمال الإبداعية للأديب (سعد مكاوي) قد سارت في محاور متباينة في رحلته الإبداعية، فقد حدث لها طفرة من وقت لآخر؛ لذلك حاولت جاهدة أن أتتبع البناء السردي في أعماله؛ لأكشف عن مراحل التحول، فقد كانت في البدء تميل إلى التقليدية والمباشرة والتقريرية أحيانًا حتى وصل إلى قمة نضجه في رواية (السائرون نيامًا)، بالإضافة إلى تقنيات السرد الحديثة التي وظفها (سعد مكاوي) في أعماله.

٢- لم ينل (سعد مكاوي) -شأنه شأن بعض من جيله- حظه من المتابعة والنقد إلا من النزر اليسير على الرغم من تميزه، وقد أطلق عليه الدكتور لويس عوض الجيل المدشوت كناية عن عدم اهتمام النقاد بهذا الجيل: (سعد مكاوي، أمين يوسف غراب، سعد حامد ...) وغيرهم كثيرون من المبدعين الذين لم يأخذوا حظهم من المتابعة النقدية الجديرين بها؛ لذلك سوف يحاول البحث الكشف عن الوسائل الفنية والتقنيات التي اتبعها الكاتب لإنشاء معماره الفني، وذلك من خلال أعماله الروائية، وهي على التوالي:

١- شهيرة ١٩٥٩.
٢- الرجل والطريق ١٩٦٣.
٣- السائرون نيامًا ١٩٦٥.
٤- الكرباج ١٩٨٤.
٥- لا تسقني وحدي ١٩٨٥.

وقد واجه البحث كثيرًا من الصعوبات على الرغم من قلة الإنتاج الروائي لدى الأديب سعد مكاوي؛ فقد جمع بين الرومانسية والواقعية أحيانًا، والمعاصر والقديم أحيانًا أخرى، فقد نهل من التراث ليعبر عن الواقع المعيش، وهذا يتطلب قدرًا كبيرًا من التفسير والتأويل والتحليل، ومعرفة وجهة نظر المبدع، وتحديد الهدف من الخطاب، وهو يتطلب بدوره جهدًا كبيرًا من التفحص والتأمل، وهذا ما تطلبته الدراسة المتأملة للأشكال التراثية الموظفة في روايات (سعد مكاوي)؛ فقد جمعت رواياته: (السائرون نيامًا – والكرباج – ولا تسقني وحدي) –دلالات معاصرة بالإضافة إلى الخلفية التاريخية.

كما أن البحث يسعى إلى الكشف عن التقنيات والحيل والأساليب الفنية في الأعمال الأدبية لدى (سعد مكاوي)، وهذا يتطلب اللجوء إلى النظريات الغربية التي تعبر عن مجتمع يختلف في ثقافته عن مجتمعنا. بمعنى أن الملابسات الحضارية في الغرب تكاد تختلف عن مجتمعنا بظروفه المغايرة للغرب مما يتطلب مرونة في التعامل مع الآراء والنظريات الغربية مع مراعاة تباين المجتمعات.

وقد اتبعت هذه الدراسة منهجًا تكامليًّا يتناول الظاهرة الأدبية من شتى جوانبها؛ للاستفادة من كل المناهج على حده، مع ترك العنان للنص كي يقودنا إلى الطريقة المثلى للتعامل معه وإنارته قدر المستطاع، وقد حاولت الاجتهاد، والمجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر.

وقد انقسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة وثبت بالمراجع والمصادر.

التمهيد: يتناول التعريف بالسرد لغة واصطلاحًا.

الفصل الأول: قضايا السرد في أدب سعد مكاوي:

ويتناول كثيرًا من القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من خلال استخدام تقنية الحدث لعرض تلك القضايا؛ حيث يعد الحدث عنصرًا مهمًّا في الرواية، فالرواية قائمة

على مجموعة من الأحداث يعمل الكاتب على توصيل أفكاره ورؤياه في الحياة من خلال الأحداث المختلفة، ولا يشترط أن يكون الحدث خارجيًّا فقط، فالإنسان يعيش مجموعة من الأحداث عن طريق اللاوعي واللاشعور، فالفكرة تنمو تتطور تتصارع مع غيرها من الأفكار الرئيسية والثانوية، وتؤثر تأثيرًا عضويًّا في الملامح والقسمات والحركات الإرادية والسلوك، وتأثيرًا نفسيًّا في العواطف والعلاقات الإنسانية، وهي قد تنتصر وقد تنهزم، قد تبقى وتستمر؛ فيعمل الكاتب بكل ما يملك من قدرات ومواهب وأساليب فنية أن يجعلنا نتوهم أن الذي يجري ويحدث إنما يجري ويصطرع في عقولنا داخل نفوسنا، مما يلقي بالعبء الأكبر على المتلقي ويجعله مشاركًا في أحداث الرواية، وهذا يتطلب مهارة فائقة من الكاتب، وينطبق هذا على كاتبنا (سعد مكاوي).

وجاء في ثلاثة مباحث: المبحث الأول بعنوان التفاوت الطبقي، والمبحث الثاني بعنوان القضايا السياسية، والمبحث الثالث بعنوان قضايا الإدمان.

الفصل الثاني: الزمن في سرديات سعد مكاوي:

ويتناول الفصل عدة تقنيات زمنية لجأ إليها الكاتب؛ مثل: الاسترجاع، والاستقبال، والتلخيص، والحذف، والإسقاط.

الفصل الثالث: المكان في سرديات سعد مكاوي:

فالمكان يعد عنصرًا جماليًّا بالإضافة إلى أنه عضو مهمٌّ في نسيج العمل الأدبي. وقد ظهرت عدة مصطلحات للمكان مثل: الفضاء، والحيز، والزمكان، ومع هذا بقي المكان بمفهومه مجالًا مفتوحًا للاجتهاد، فالمكان يسهم بشكل رئيسي في رسم المسار الروائي.

الفصل الرابع: الشخصيات في سرديات سعد مكاوي:

تعد الشخصية نقطة الارتكاز داخل العمل الروائي؛ فقد استطاع الكاتب بمهارة فنية أن يخلق شخصيات مقنعة داخل العالم الفني الروائي جعلها تتحرك أمامنا، وجعل القارئ يعايشها لحظة بلحظة؛ فقد جمع بين الشخصيات المعاصرة والشخصيات التراثية؛ وتناول جميع شرائح المجتمع ملقيًا الضوء عليها، عاكسًا من خلالها الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ فقد كان فنُّه مرآة للعصر المعيش.

وجاء في خمسة مباحث، المبحث الأول بعنوان مفهوم الشخصية ووظائفها، والمبحث الثاني بعنوان شخصية البطل في سرديات سعد مكاوي، والمبحث الثالث بعنوان